الكلمات قاصرة، لم أكن أقرأ وأسمع وأتابع، كنت في قطار سريع يختلط صوت صفاراته العالية وإيقاعه المرتج بقوة الحياة في كل من على متنه من صبية. سأعيد الصورة: لم تكن رحلة مدرسية، لم تكن للصفارات المصاحبة للقطار وهو يقطع المسافات نهبا، رنين أجراس الأفراح والأعياد وحدها، بل صوت وصدى يصعب على وصفهما. لست شاعرا لأتمكن من جمع النقائض، وتركيز الحكايات المركبة الطويلة في كلمات أحددها وأحمّلها بما يتجاوز طاقتها، وأمكّنها وأنا أدفع بها إلى الحافة. كيف أنقل بيسر مختصر مفيد ومكثف وقع الصوت فينا ونحن داخل ذلك القطار السريع، نتسابق معه، ونتجاوزه ونغلب، لأنه قطار من حديد، ونحن من لحم ودم، رشق السكين في أجسادنا يتحول بمعادلة غامضة إلى قوة دفع كأنها جنّ أو وقود أو شهوة مثقلة ببذور الحياة؟

من أين أتتني صورة القطار؟

القطار الآخر، الذاكرة لا تسقط شيئا.

كتب:

رفض العمال المصريون تسيير قطار ينقل الجنود وعتادهم إلى مدن القنال (أرسلت بريطانيا ثلاث ناقلات جنود تحمل ثلاثة آلاف فرد من عسكرها ردا على إلغاء المعاهدة). لم يسر القطار إلى مقصده. امتنع سائق القطار عن تسييره، امتنع مساعده، وامتنع العمال عن تزويده بالوقود.

دارت العجلة: رفض العمال شحن وتفريغ السفن البريطانية. ترك العاملون أشغالهم في المعسكرات وغادروا. أضرب المتعهدون والموردون. قاطع التجار معسكرات جيش الاحتلال. في الإسماعيلية: خرج الأهالي في مظاهرات حاشدة تأييدا لإلغاء المعاهدة. احتل عسكر الإنجليز المدينة بالسيارات المصفحة. أطلقوا النار على الأهالي.

سبعة شهداء وأربعون جريحا.